

منهج الفلاسفة المسلمين في تصنيف العلوم

بوغفالة أحمد*

يجمع المفكرون والمؤرخون بأن التفكير الفلسفي المنظم قد بدأ مع اليونانيين الذين تناولوا قضايا الكون والإنسان بأسلوب منطقي وعقلاني، لهذا أعتبرت الفلسفة اليونانية الصورة الكاملة الأولى للفكر الفلسفي الإنساني الذي أصبح المنبع الأساسي الذي يغترف منه كل الفلاسفة اللاحقين من أجل بلورة أفكارهم وتصوراتهم، لهذا وجب علينا أن نتساءل حول ما إذا كانت الفلسفة الإسلامية مجرد إستمرار لليونان أم أنها إنتاج عقلي أصيل خاصة في مجال تصنيف العلوم التي بلغت أوجها مع الفلاسفة الإسلاميين بداية بالكندي والمعلم الثاني الفارابي مروراً بابن النديم إلى ابن خلدون آخر المفكرين العرب، بحيث نرى بأن هناك إهتمام كبير بعملية التصنيف إلا أننا نجد هناك إختلاف في تقسيماتهم للعلوم وهذا ما يتضح من خلال تصنيف كل من الفارابي والكندي وإخوان الصفا وابن النديم وابن سينا وابن حزم وابن خلدون، بحيث نجد هناك توافق وتكرار في بعض العلوم وهناك إختلاف، وهذا الرأي هو ما يؤكده «الغزالي» في كتابه تهافت الفلاسفة حيث يقول: «اعلم أن علومهم بالنسبة إلى الغرض الذي نطلبه ستة أقسام: رياضية ومنطقية وطبيعية وإلهية وسياسية وأخلاقية، أما الرياضية: فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم ... وأما الإلهيات فيها أكثر أغالطهم. فما قدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق ولذلك كثر الإختلاف بينهم».

ويتضح من خلال هذا القول أن هناك توضيح لأنواع العلوم الفلسفية التي تناولها الفلاسفة الإسلاميين في تصنيفاتهم لأنهم تأثروا بالفكر الفلسفي اليوناني خاصة أفلاطون وأرسطو من أجل تأسيس نسق فلسفي خاص بهم، وهذا ما يؤكده «الفارابي» في كتابه الجمع بين رأيي الحكيمين: «وكان هذان الحكيمان هما مبدعان للفلسفة ومنشئان لأوائلها وأصولها ومتممان لأواخرها وفروعها، وعليهما المعول في قليلها وكثيرها، وإليهما المرجع في سيرها وخطيرها وما يصدر عنهما في كل فن إنما هو الأصل المعتمد عليه لخلوه من الشوائب والكدر».

1 * طالب دكتوراه - جامعة وهران2.

Abstract: Brings together thinkers and historians that the problematic of classification of sciences in the Islamic philosophical knew a great interest by the Islamic philosophers, whose contributions and achievements of knowledge and scientific prominent and clear in this area, and that contributed to the building of human civilization, because the classification is a systematic work is organizing a science and counting and clarify the relation between them. knowing that the Islamic classifications came the general structure free of the bilateral Greek division of science-based theoretical and practical and this is what we observe when philosophers and Muslim scholars who came distinct classification and good comparison philosophers west and this is evidence of the existence of curriculum Islamic classification of sciences which facilitates and helps Muslims to seek knowledge in order to achieve their goals and their purpose in this life.

Keywords: Method, Classification, Science, Philosophy.

ويقول «ابن خلدون» في المقدمة: «وإمام هذه المذاهب الذي حصل مسألته ودون علمها واطر حجاجها، فيما بلغنا في هذه الأحقاب هو أرسطو المقدوني من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون وهو معلم الاسكندر ويسمونه المعلم الأول على الإطلاق»، وهذا إعراف بفضل اليونان في المباحث العقلية والفلسفية، لهذا نرى بأن هناك تأثير واضح في تصنيفات الفلاسفة الإسلاميين الذين تأثروا بأفلاطون وأرسطو في تقسيم العلوم، إلا أن إشكالية تصنيف العلوم لم تكن عند اليونان بقدر الإهتمام الكبير الذي نالته في الفكر الفلسفي الإسلامي والدليل على ذلك هو إعراف المستشرقين على كتاب الفهرست لابن النديم في تصنيف العلوم مع العلم أن الفكر الغربي لم يعرف مثل هذا التصنيف إلا مع أوغست كونت.

إذن، من هنا سنبداً تساؤلاتنا حول تصنيف العلوم. هل هذه التقسيمات عند الفلاسفة الإسلاميين نلمس من خلالها تأثيرهم بالفلاسفة اليونانيين أم لا؟ لأن أساس هذا البحث يقتصر علينا طرح مثل هذه الأسئلة من أجل إيضاح الرؤية لأن هناك صلة واضحة بين التصنيفات الإسلامية وبين تصنيفات أرسطو وأفلاطون، بحيث نجد أن «أفلاطون» في كتابه الجمهورية: «فيقسّمها إلى ثلاثة علوم أو معارف سفلى وهي الطبيعية ووسطى وهي الرياضية وعليا وهي معرفة المبدأ الأول والمثل». أما «أرسطو» فيقسم: «العلوم إلى نظرية وعملية وإنتاجية فالأولى بدورها تنقسم إلى ثلاثة أقسام: وهي العلم الطبيعي والإلهي والرياضي، أما القسم العملي فينقسم إلى علم الأخلاق وتديبر المنزل وعلم السياسة».

إذن، ما هو تصنيف العلوم عند الفلاسفة الإسلاميين وعلى أي أساس أقيم هذا التصنيف؟ يعتبر تصنيف العلوم عند الفلاسفة الإسلاميين من بين الإسهامات والانجازات الفكرية والمعرفية والعلمية التي ساهمت في بناء الحضارة الإنسانية، لأن قبل الإسلام كانوا يهتمون بالجانب الشعري الأدبي وبعد الإسلام ظهرت مبادرات كثيرة من أجل الإهتمام بالمعرفة والعلم خاصة ما عرف بحركة الترجمة التي كانت بدايتها في العهد الأموي وأخذت تتطور أكثر في عهد المأمون في العصر العباسي بحيث نرى بأن عملية التصنيف قد بدأت مع الكندي أول فيلسوف إسلامي، حيث نجد في بداية الأمر كان الإهتمام بالطب وعلم الفلك لكن نظرا لتطور الأمة الإسلامية وازدهارها أصبحت الحاجة ماسة للمعارف الأخرى سواء علمية أو فلسفية فبدأت عملية الترجمة من السريانية إلى العربية ومن اليونانية إلى العربية مع حنين ابن إسحاق وغيرهم من المترجمين البارعين ويعتبر كتاب الفهرست لابن النديم أفضل نموذج في دراسة تصنيف العلوم، بحيث نجد أن التقسيم الثنائي بدأ مع أفلاطون، حيث قسم المعرفة إلى قسمين عالم المحسوس الذي يتضمن جميع الصور المحسوسة من حيوان ونبات وطب ... الخ . وعالم معقول الذي يتضمن المعارف العقلية كعلمي الرياضيات والإلهيات في حين نجد تلميذه أرسطو الذي رفض مذهب أستاذه في تقسيمه للعلوم فقسّمها إلى ثلاثة أنواع وهي نظرية وعلمية وإنتاجية فقسم الأولى إلى هندسة وفلك وموسيقى وحساب وميتافيزيقا (الفلسفة الأولى) والطبيعيات. والعملية إلى أخلاق والاقتصاد والسياسة، والإنتاجية إلى شعر وبلاغة وجدل.

إن الفلاسفة الإسلاميين فعلا اتصلوا بالفلسفة اليونانية لكنهم تجاوزوا مرحلة الأخذ والإستمداد إلى مرحلة الهضم والتمثيل من أجل تأسيس نسق فلسفي متميز خاص بهم وهذا ما سنوضحه ونبينه من خلال تطرقنا إلى الفلاسفة الإسلاميين بداية بأول فيلسوف إسلامي، وهو الكندي.

1. الكندي (185هـ - 256هـ): هناك اختلاف في تحديد تاريخ مولده ووفاته ويعتبر أول فيلسوف عربي أقبل على التراث الأعجمي الدخيل العلمي منه والفلسفي اليوناني والفارسي والهندي فهل من الفكر اليوناني عامة ومن أرسطو خاصة، فبذر البذور الأولى لأهم ما جاء في الفكر العربي الإسلامي. إذًا، على أي أساس كان تصنيف العلوم عند الكندي؟

يعتبر أول مصنف للعلوم في التاريخ الفلسفي الإسلامي. بحيث يعتبر تصنيفه شيئا بتصنيف أرسطو، لكنه يضيف إلى العلوم الفلسفية المعروفة عند أرسطو العلوم الدينية وتصنيفه يقوم على: -

التقسيم إلى إنساني وديني؛

- البشري منه آلي ومنه مطلوب لذاته؛

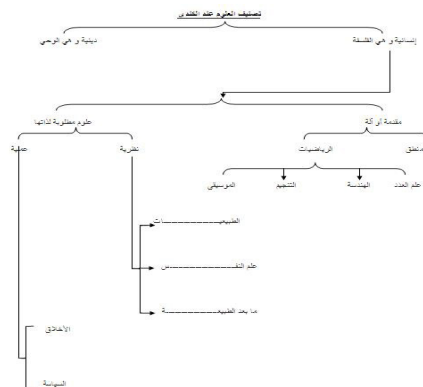
- المطلوب لذاته نظري وعملي؛

- مقياس النظري إما على أساس ثبات الموضوع وحركته، وإما ماديته وتجرده؛

- إن الفلسفة عامة تشمل جميع العلوم البشرية وخاصة تقتصر على علم ما بعد الطبيعة ، ومن خلال هذا التفسير يتضح لنا أن هذا التصنيف سيهتم به جميع من جاء بعد الكندي مع اختلاف في تحديد وتفصيل بعض العلوم، كما أن تأثير الكندي بالإسلام جعله يضيف العلوم الدينية إلى جدول العلوم حتى تبقى الفلسفة واضحة بالنسبة للمجتمع الإسلامي والتي تعتمد على التأمل العقلي، في حين العلوم الدينية التي تعتبر ابتكار جديد للكندي نظرا لعقيدته الإسلامية، في حين نجد أن تقسيمه للعلوم الفلسفية يقترب من أفلاطون عندما يجعل علم الرياضيات أساسا لبناء العلوم الفلسفية، وهذا ما يؤكد «حسام الدين الألوسي» في قوله: «إن الكندي في تأكيده على الرياضيات وجعلها جزءا من الفلسفة متأثرا بأفلاطون الذي رأينا أنه يعتبر الرياضيات أول العلوم في التعليم وأوسطها في المكانة» . «ويعتبر «الكندي» الرياضيات والمنطق آلة ومقدمة للعلوم الأخرى».

يوضح لنا هذا، أن الكندي قد جعل من المنطق آلة فهو بهذا القول يتبع أرسطو الذي اعتبر المنطق آلة لكافة العلوم.

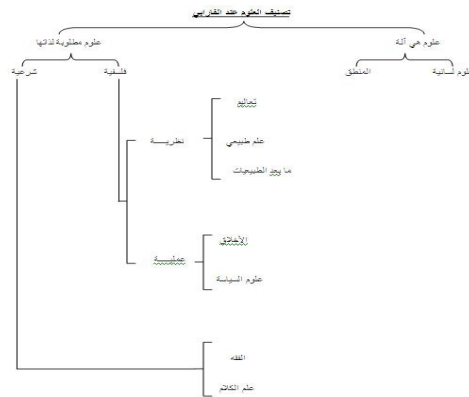
تصنيف العلوم عند الكندي



2. الفارابي (257هـ - 339 هـ): إن منهج الفارابي في تصنيف العلوم هو نفسه لابن سينا وأرسطو، بحيث تلاقت في عقل الفارابي أفكار وتصورات الفلسفة اليونانية، وعقائد الدين الإسلامي، لأنه جمع بين آراء أرسطو وأفلاطون وأساء الفهم وجره إلى ذلك كتاب أثولوجيا أرسطو، إلا أن فلسفته جاءت لنا بآراء وأفكار جديدة، ويعتبر الفارابي أول من كشف عن طبيعة التصنيف وأهدافه في هذا المجال، لأن الهدف من التصنيف هو تبيان العلاقة التي تربط ما بين العلوم مبينا موضع كل علم من الآخر في بناء المعرفة، ويعتبر الفارابي المعلم الثاني الذي ألف رسالة في إحصاء العلوم، يقول فيها «قصدا من هذا الكتاب أن نحص العلوم المشهورة علما علما ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها وأجزاء كل ما له أجزاء وجمل ما في كل واحد من أجزائه ونجعله في خمسة فصول: الأول في علم اللسان وأجزائه، والثاني في علم المنطق وأجزائه، والثالث في علوم التعليم، والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه وفي العلم الإلهي وأجزائه والخامس في العلم المدني وأجزائه وفي علم الفقه وعلم الكلام».

ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن الفارابي قسم العلوم إلى علوم فلسفية وعلوم شرعية إسلامية، متبعا في ذلك لما جاء به الكندي من علوم شرعية، ويلاحظ أن الفارابي يقترب من الكندي فيما يتعلق بالمنطق الذي اعتبره مقدمة لجميع العلوم بعد علم اللسان، حيث يقول الفارابي: «علم المنطق صناعة تعطي جملة القوانين التي شأنها أن تقوم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق..» كما يلاحظ عليه تأثره بأفلاطون في تحديده لمكانة الرياضيات.

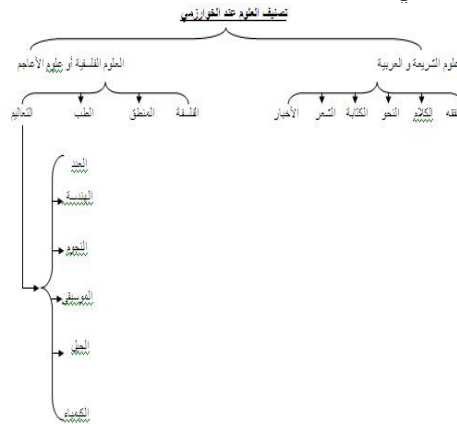
تصنيف العلوم عند الفارابي



3. الخوارزمي (ت - 387 هـ): لقد استمد تصوره في التصنيف من طبيعة العلوم كما هي في واقع المجتمع العربي نشوءا وتطورا، بحيث تحرر من التقسيم الأرسطي الذي فرض نفسه على كثير من التصنيفات العربية، بحيث بدأ تصنيفه بالعلوم الشرعية وما يتصل بها، وهذا عكس مما نجده عند الفارابي وإخوان الصفا. ولقد قسم العلوم إلى قسمين: علوم شرعية وهي الفقه، والكلام، والنحو، والكتابة، والشعر، والأخبار؛ والعلوم الفلسفية وهي: الفلسفة، والمنطق، والطب، والعدد، والهندسة،

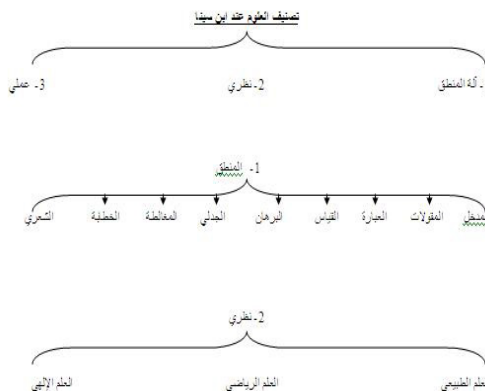
ونجوم، والموسيقى، والحيل، والكيمياء، والعلوم من الرابع إلى السابع تسمى تعاليم، كما أنه جعل من المنطق آلة ومقدمة لهذه العلوم، فهنا نلاحظ مساهمة لرأي الفارابي وأرسطو.

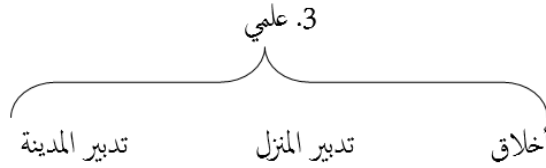
تصنيف العلوم عند الخوارزمي



4. أما ابن سينا (370 هـ - 428 هـ)؛ لقد كان ابن سينا حريصا في تمسكه بالقيم الإسلامية خاصة في نقده لأرسطو فيما يخص العناية الإلهية بالعالم، وهذا دليل على أن الفلاسفة الإسلاميين في تفكيرهم الفلسفي لم يكونوا تابعين للفلسفة اليونانية في جميع المسائل الفكرية والمعرفية، إلا أن تصنيف العلوم عنده يحذو فيه حذو الفارابي وأرسطو، بحيث أنه يقسم العلوم إلى نظرية وعملية وآلة ثم يقسم العلوم العملية إلى أخلاق وتدير المنزل وتدير المدينة، أما الآلة فيخصصها للمنطق الذي يعتبره آلة وجزء من العلوم، ويعتبر تقسيمه للعلوم قريب من أرسطو على الخصوص.

تصنيف العلوم عند ابن سينا





5. ابن حزم (383هـ - 454 هـ): وضع ابن حزم تصنيفه في العلوم على أساس التمييز بين العلوم النافعة المحمودة التي تدخل في دائرة العقل والشرع، والعلوم المذمومة التي تقع خارج دائرة الشرع والعقل، بحيث قام بتقسيم العلوم إلى سبعة أنواع: وهي علم الشريعة، علم اللغة، علم الأخبار، علم النجوم، علم العدد، علم الطب، علم الفلسفة، مع العلم، أن علم الشريعة في كل أمة وعلم لغتها وعلم الأخبار هي علوم تختلف من مجتمع لآخر لاختلاف الثقافة بعناصرها المختلفة، ثم تأتي بعد ذلك أربعة أقسام تتفق فيها جميع الأمم وهي: علم النجوم، وعلم العدد، وعلم الطب، وعلم الفلسفة، ويحتوي كل علم من هذه العلوم السبعة على تقسيمات وتفرعات، فمثلا:

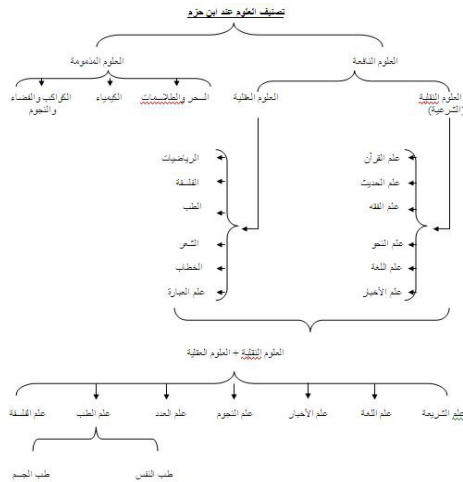
- علم الشريعة: علوم القرآن، الحديث، الفقه، الكلام
- علم اللغة: النحو، اللغة.
- علم النجوم: علم الهيئة.
- علم الطب: طب النفس، طب الجسم.

وفي هذا الصدد يقول «ابن حزم»: «العلوم تتكامل مع بعضها وكل منها يحتاج إلى الآخر ولا فرق بينها من حيث الهدف، حيث أنها جميعا - كما سيتضح - تسعى إلى سعادة المسلم في دنياه، وفوزه بالجنة في أخراه، وحيث أنها جميعا تؤكد وجود الخالق سبحانه وتعالى وتكشف عن بديع صنعه وعظيم خلقه» . ويقول ابن حزم في نص آخر: «العلوم التي ذكرنا يتعلق بعضها ببعض ولا يستغني منها علم عن غيره» . وهذا يؤكد لنا بأن ابن حزم يرى بأنه لا يمكن الفصل بين هذه العلوم لأنها تمثل وحدة متكاملة ومتناسقة ومنتظمة تساعد الإنسان في حياته من أجل الكشف ومعرفة الحقائق المتوارية والخفية، وذلك لبلوغ وتحقيق غايته، وهدفه في هذه الحياة، وما يمكن ملاحظته واستنتاجه من تصنيف العلوم عند ابن حزم أنه مخالف لسابقه خاصة في تأكيده على علم الشريعة في المرتبة الأولى وحاجة العلوم الأخرى بالنسبة للإنسان في معرفة الخالق، كما أنه يصف بعض العلوم التي يرى بأنها مذمومة كالسحر والطلاسمات والكيمياء فيقوم بذمها وإنكارها لأنها لا تساعد الإنسان في آخرته في الفوز بالجنة وفي تأكيده على الشريعة الإسلامية، يقول: « كان الواحد منهم غائبا عن علم الشريعة التي لا معنى لخروجنا إلى هذا العالم غيرها ولا خلاص لنا ولا سلامة عند خروجنا من الدنيا إلا بها، وكان بمعزل عن علم الحقائق».

إن ابن حزم يؤكد على هذه العلوم في تكاملها من أجل فهم الإنسان لغايته التي هو موجود عليها في هذه الدنيا من أجل الفوز بالآخرة، وهذا ما يؤكد عليه في قوله: «لولا طلب النجاة في الآخرة، لما كان

لطلب شيء من العلوم معنى لأنه تعب (...) فإذا الأمر كذلك فالعلوم كلها متعلق بعضها ببعض، كما بينا قبل محتاج بعضها إلى بعض ولا غرض لها إلا معرفة ما أدى إلى الفوز في الآخرة فقط وهو علم الشريعة».

تصنيف العلوم عند ابن حزم



6. إخوان الصفا (334 هـ - 447 هـ): يقول «إخوان الصفا» في الرسالة السابعة من رسائلهم التعليمية في فصل في العلم والمعلوم والتعلم وأوجه السؤال، ما يلي: «فاعلم يا أخي بأن العلوم التي يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس: فمنها الرياضة ومنها الشرعية الوضعية ومنها الفلسفية الحقيقية...». وما نلاحظه في هذا القول، أن العلوم عندهم تنقسم إلى ثلاثة أقسام، وهي: العلوم الرياضية التي تدل على أنها علم الآداب التي وضع أكثرها لطلب المعاش صلاح أمر حياة الدنيا، وهي تسعة:

- علم القراءة والكتابة
- علم النحو واللغة
- علم الحساب والمعاملات
- علم الشعر والعروض
- علم الرجز والفأل
- علم الحرف والصنائع
- علم البيع والشراء
- علم التجارات
- علم الحرث والنسل

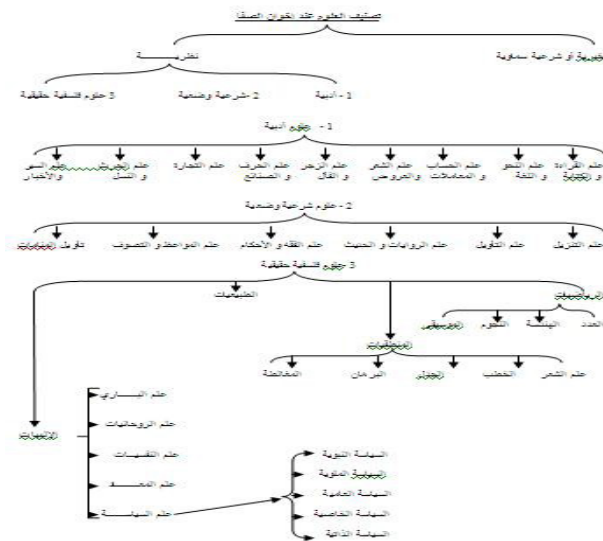
«أما العلوم الشرعية فهي التي وضعت لطالبي الآخرة، وهي ستة: علم التنزيل وأصحابه الأنبياء، علم التأويل وأصحابه خلفاؤهم، علم الروايات «الأخبار الشرعية» وأصحابه أهل الحديث، علم الفقه والسنن والأحكام وأصحابه الفقهاء، علم التذكار والمواعظ والتصوف وأصحابه العباد والزهاد والرهبان وأخيرا علم تأويل المنامات»⁽¹⁾.

1 إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا، الرسالة الجامعة، ص 101.

وما يمكن ملاحظته في تصنيفهم للعلوم مقارنة بمعاصريهم أو من سبقهم في تقسيمهم للعلوم بأن علم المنطق آلة، وليس جزء من الفلسفة، بحيث «يقصدون رسالة إيساغوجي في المنطق تسديد العقل وتقويمه وتثقيفه نحو الحقائق ورده عن الزلل والغلط، كما يحتاج إلى النحو لتسديد اللسان وتقويمه نحو الصواب ورده عن اللحن لأن نسبة المنطق إلى المعقولات كنسبة صناعة النحو من الألفاظ»⁽²⁾.

مع العلم أنهم كانوا متأثرين بمؤثرات متعددة في تقسيمهم للعلوم إسلامية ويونانية، وخصوصا الفيثاغوريين من جهة وأرسطو، والأفلاطونية من جهة أخرى، كما أنهم قاموا بتكرار محاولة الكندي في تقسيمه للعلوم إلى إنسانية عقلية ودينية شرعية، لكن تقسيمهم أشمل وأوسع من سابقهم، مثلا: العلوم الشرعية تنقسم إلى قسمين: أحدهما خبري ليس للإنسان فاعلية كسبه فهو وحي، وهذا خاص بالقرآن والكتب المنزلّة؛ ونوع آخر شرعي وضعي مثل الفقه والحديث للإنسان فاعلية فيه.

تصنيف العلوم عند إخوان الصفا⁽³⁾



7. أما ابن النديم (ت - 438 هـ): جاء كتابه الفهرست مشتملاً على جميع العلوم والفنون الموجودة في عصره، بحيث نجد منتهه يبدأ: «المقالة الأولى في أخبار العلماء وأسماء كتبهم وهي ثلاثة فنون، الفن

1 المصدر نفسه، ص 102.

2 الالوسي، حسام الدين، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، (م. س.)، ص 221.

3 المرجع نفسه، ص 222.

الأول: في وصف لغات الأمم من العربي والعجم ونعوت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها»⁽¹⁾. وينتهي «بالمقالة العاشرة وهي أخبار الكيميائيين والصناعيين من الفلاسفة القدماء والمحدثين»⁽²⁾. وفي هذه المقالة يتحدث عن هرمس الذي يعتبر «أول من تكلم عن علم الصنعة هرمس الحكيم البابلي...»⁽³⁾، كما يتحدث عن أسماء الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة من بينهم جابر ابن حيان وأسماء كتبه وغيرهم إلى غاية الخنشليل الذي به تمت المقالة العاشرة من كتاب الفهرست الذي سنقوم بتفصيل وتحديد مقالاته:

المقالة الأولى: وهي ثلاثة فنون	المقالة الثانية: وهي ثلاثة فنون
الفن الأول: في دراسة الكتابة وأنواع الخطوط	الفن الأول: أخبار النحويين البصريين وأسماء كتبهم
الفن الثاني: في أسماء كتب الشرائع المنزلة على المسلمين	الفن الثاني: أخبار النحويين الكوفيين وأسماء كتبهم
ومذاهب أهلها	
الفن الثالث: في نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه	الفن الثالث: النحويين الذين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم
المقالة الثالثة: وهي ثلاثة فنون	المقالة الرابعة: في الشعر والشعراء وهي فنون
الفن الأول: يحتوي على أخبار الإخباريين والرواة وأصحاب السير وأسماء كتبهم	الفن الأول: طبقات الشعراء الجاهلين والإسلاميين ممن لحق الجاهلية وأسماء روايتهم
الفن الثاني: أخبار الملوك والكتاب وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم	الفن الثاني: طبقات الشعراء الإسلاميين وشعراء المحدثين الذين عايشوا ابن النديم
الفن الثالث: أخبار الجلساء والمضحكين وأسماء كتبهم	
المقالة الخامسة: في الكلام والمتكلمين وهي خمسة فنون	المقالة السادسة: في الفقه والفقهاء وهي ثمانية فنون
الفن الأول: في ابتداء الكلام والمتكلمين المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم	الفن الأول: أخبار مالك ابن أنس وأصحابه وأسماء كتبهم
الفن الثاني: أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم	
الفن الثاني: في أخبار المتكلمين الشيعة والإمامية والزيدية والإسماعيلية وأسماء كتبهم	الفن الثالث: الإمام الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم
الفن الرابع: داود وأصحابه وأسماء كتبهم	
الفن الثالث: في أخبار المتكلمين أصحاب الجبر والحشوية وأسماء كتبهم	الفن الخامس: فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم
الفن السادس: فقهاء الحديث وأسماء كتبهم	
الفن الرابع: في أخبار متكلمي الخوارج وأسماء كتبهم	الفن السابع: أبي جعفر الطبري وأسماء كتبهم
الفن الخامس: في أخبار الزهاد والمتصوفة وأخبار أصحاب الخطرات (الخواطر) وأسماء كتبهم	الفن الثامن: أخبار فقهاء والشراة وأسماء كتبهم

1 ابن النديم، الفهرست، ص 2 .

2 المصدر نفسه، ص 351 .

3 المصدر نفسه، ص 351 .

المقالة السابعة:

في الفلسفة والفنون والعلوم القديمة وهي ثلاثة فنون

الفن الأول: الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم وأسماء ناقلها

الفن الثاني: أصحاب تعاليم الهندسة والأرثمطقيين والموسيقيين والحساب والمنجمون وأصحاب الحيل والحركات وأسماء كتبهم

الفن الثالث: أخبار علم الطب والمتطبين من القدماء والمحدثين

المقالة التاسعة:

اختص بتصنيف المذاهب والإعتقادات وهي فنان

الفن الأول: وصف مذاهب الكلدانيين (الصائبة وغيرهم)

الفن الثاني: المذاهب القديمة كمذاهب الهند والصين

المقالة السابعة:

في الفلسفة والفنون والعلوم القديمة

وهي ثلاثة فنون

الفن الأول: الفلاسفة الطبيعيين

والمنطقيين وأسماء كتبهم وأسماء

ناقلها

الفن الثاني: أصحاب تعاليم الهندسة

والأرثمطقيين والموسيقيين والحساب

والمنجمون وأصحاب الحيل والحركات

وأسماء كتبهم

الفن الثالث: أخبار علم الطب

والمتطبين من القدماء والمحدثين

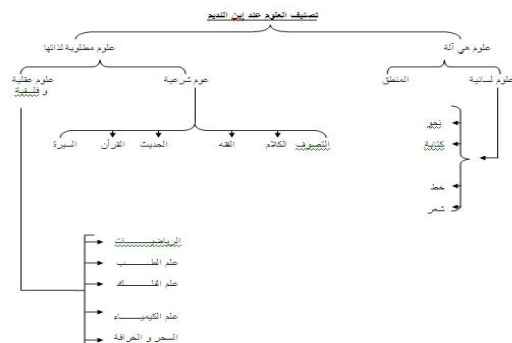
المقالة العاشرة:

في الكيمياء وأخبار الكيميائيين من

الفلاسفة

نلاحظ على هذا التصنيف أن المقالات ست الأولى تناولت العلوم الشرعية في حين تناولت المقالات الأربعة الأخيرة العلوم الفلسفية، ونستنتج من هذا أن ابن نديم قسم العلوم إلى قسمين: علوم شرعية وعلوم فلسفية، ولقد قام بتقديم العلوم الشرعية على العلوم الفلسفية كما قام الخوارزمي، كما أنه خالف الكندي والفارابي الذين وضعوا العلوم الشرعية في المرتبة الثانية كما نلاحظ عنده وجود فن خاص بالخطوط الخاص في دراسة الكتابة وأنواع الخطوط الذي لم نلاحظه عند الفلاسفة الآخرين.

تصنيف العلوم عند ابن نديم

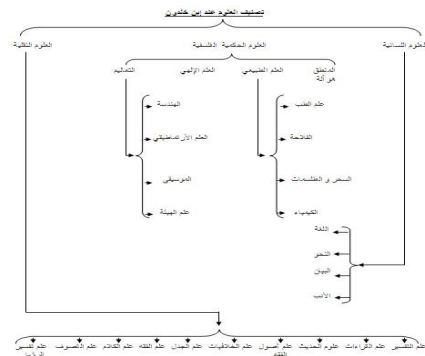


8. ابن خلدون (732هـ- 808 هـ): يعتبر تصنيف العلوم عند ابن خلدون كحلقة من حلقات إنجازات وإسهامات الفلاسفة المسلمين في الحضارة الإسلامية بصفة خاصة والحضارة الإنسانية بصفة عامة، بحيث إذا قارنا تصنيف العلوم عنده وعند الفلاسفة السابقين أمثال الكندي والفارابي وإخوان الصفا وغيرهم، نلاحظ بأن

أراءه وأفكاره تعتبر ركيزة في الفكر الإنساني المعاصر نظرا لابتكاراته وإبداعاته في العديد من العلوم الأخرى، لأنه خصص جزءا لا يستهان به من مقدمته لتبيان مختلف العلوم بأصولها وأقسامها. يقول ابن خلدون في الفصل الرابع من المقدمة في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد، ما يلي: «اعلم أن العلوم (...) هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره وصنف نقلي يأخذه عن وضعه، والأول هي العلوم الحكيمة الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره (...) والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول...»⁽¹⁾. نلاحظ من خلال هذا القول، أن ابن خلدون يتحدث عن تصنيف العلوم وفق ثنائية العقلي والنقلي، فأما العلوم العقلية التي إليها يهتدي الإنسان بفكره، والعلوم النقلية التي تسند إلى النص ولا مجال فيها للعقل. ويقول في نص آخر، متحدثا عن العلوم العقلية «التي هي طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم، ويستوون في مداركها ومباحثها وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة، وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مشتملة على أربعة أنواع: علم المنطق (...) العلم الطبيعي (...) العلم الإلهي والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير»⁽²⁾. كما أنه يتحدث عن العلوم اللسانية فيقول: فمنها علم اللغة ولم النحو وعلم البيان وعلم الأدب»⁽³⁾.

إن المتأمل في تصنيف ابن خلدون للعلوم الذي خصص له أكثر من خمسين فصلا وما تحتويه من أقسام ومتطلبات وتعريف، وقد قسمها إلى صنف طبيعي وهو العلوم الفلسفية والعلوم النقلية التي يكون أصلها الكتاب والسنة، وأصناف هذه العلوم كثيرة كعلم التفسير وعلم الفرائض وعلوم الحديث وعلم تفسير الرؤيا والفقه، إلا أن ابن خلدون في تصنيفه للعلوم قام بإبطال وإنكار بعض العلوم وهذا يؤكد لنا أنه يحذو حذو الغزالي في إنكاره لبعض العلوم.

تصنيف العلوم عند ابن خلدون



1 ابن خلدون، المقدمة، (م س)، ص 474.

2 المصدر نفسه، ص 531.

3 المصدر نفسه، ص 475.

9. ططاش كبرى زاده (ت - 962 هـ): يتحدث «أحمد بن مصطفى» الشهير «بطاش كبرى زاده» في كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»، الذي يقوم فيه بتفصيل وتحديد العلوم، فنجد في الجزء الأول، يتحدث عن العلوم الخطية، وهذا في الدوحة الأولى إلى غاية الدوحة الخامسة المتمثلة في الحكمة العملية، حيث يقول: «ثم إن الحكماء ذكروا علومهم العملية، وبحثوا فيها عن الأعمال الصادرة عن البشر وتلك الأعمال: أما أن تتعلق بشخص وحده وهي (علم الأخلاق) أو تتعلق بأهل المنزل لدوام الإنس والائتلاف وهي (علم تدبير المنزل) أ تتعلق بأحوال أهل البلد لنظام أحوال الملك والسلطنة وهي (علم السياسة)»⁽¹⁾. ومن خلال هذا القول نرى بأن هناك تأثير لما قاله أرسطو في العلوم العملية والسير في نفس الاتجاه الذي حدده الفارابي. أما في الجزء الثاني، يتحدث عن العلوم الشرعية، وهذا في الدوحة السادسة، والجزء الثالث يتحدث فيه عن الدوحة السابعة في علوم الباطن ولها أربع شعب وهي العبادات والعبادات والمهلكات والمنجيات وكل شعبة تتفرع إلى أصول.

جاء طاش كبرى زاده بعد ابن النديم بخمس قرون تقريباً، بحيث كان تصنيفه بمثابة تكرار لما جاء به ابن النديم في الفهرست. ولقد قسم العلوم إلى سبعة، أطلق على كل واحد منها اسم الدوحة.

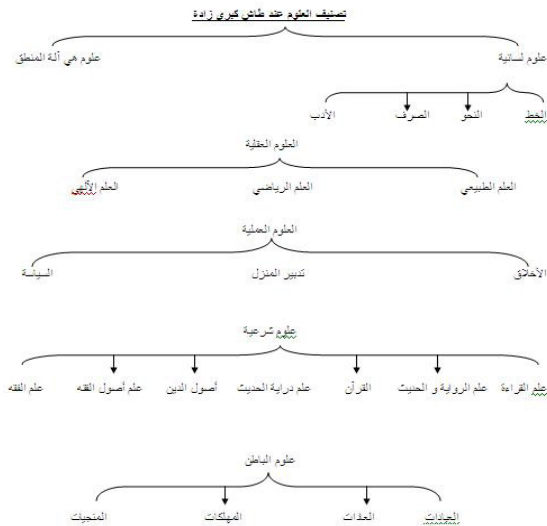
الدوحة الأولى:	الدوحة الثانية: في العلوم المتعلقة بالألفاظ وتشتمل على
في العلوم الخطية، تحتوي على شعبتين	ثلاثة شعب
الشعبة الأولى في العلوم المتعلقة بكيفية الصناعة الخطية	الشعبة الأولى في العلوم المتعلقة بالمفردات
الشعبة الثانية: في العلوم المتعلقة بالحروف المفردة	الشعبة الثانية: في العلوم المتعلقة بالمركبات
الدوحة الثالثة في العلوم الباحثة عن ما في الأذهان من المعقولات	الشعبة الثالثة: في فروع العلوم العربية: نحو، صرف
الشعبة الأولى: في العلوم الآلية تعصم عن الخطأ في الكسب (المنطق)	الدوحة الرابعة: تحتوي على العلوم العقلية وتحتوي على ثلاث شعب
الشعبة الثانية: في العلوم تعصم عن الخطأ في المناظرة والدرس كعلم النظر وعلم الجدل وعلم الخلاف	الشعبة الأولى: في العلوم الإلهية
الدوحة الخامسة: في العلوم العملية وتحتوي على ثلاث شعب	الشعبة الثانية: في العلوم الطبيعية
الشعبة الأولى: في علوم الأخلاق	الشعبة الثالثة: في العلوم الرياضية
الشعبة الثانية: في علوم تدبير المنزل	الدوحة السادسة: في العلوم الشرعية وتحتوي على سبعة شعب
الشعبة الثالثة: في علوم سياسة	الشعبة الأولى: علم القراءة
	الشعبة الثانية: علم رواية الحديث
	الشعبة الثالثة: علم تفسير القرآن

1 طاش، كبرى زادة، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، سنة 1985، ص 382 .

الدوحة السابعة: في علوم الباطن والأخلاق والتصوف	الشعبة الرابعة: علم دراية الحديث
ومن أهم الشعب أربعة رئيسية	
الشعبة الأولى: العبادات	الشعبة الخامسة: علم أصول الدين
الشعبة الثانية: في العادات	الشعبة السادسة: علم أصول الفقه
الشعبة الثالثة: في المهلكات	الشعبة السابعة: علم الفقه
الشعبة الرابعة: في المنجيات	

مع العلم أن هذه الشعب لها أصول، ويعتبر تصنيف طاش كبرى زاده من بين التصنيفات الإسلامية الدقيقة، وله أهمية كبيرة في مجال تصنيف العلوم نظرا لوجود الكم الهائل للعلوم والمعرفة بحيث نلاحظ بأنه متأثر بآبن النديم كما أنه تناول علوم القرآن بشيء من التفصيل، وذلك بسبب تقدم المعرفة وتمييز فروعها في عصره، أما بالنسبة للعلوم الفلسفية فقد قدم علم المنطق على هذه العلوم وجعل بعض العلوم قائمة بذاتها، مع أنها جزء من علوم أخرى.

تصنيف العلوم عند طاش كبرى زادة



خلاصة القول، إن ما يلاحظ في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي عامة، ومجال تصنيف العلوم خاصة، أن هناك اهتمام كبير بهذه العلوم التي لم يشهدها عصر النهضة، خاصة أن القرن الرابع للهجرة يعتبر عصر العلوم وازدهارها، إلا أن إشكالية تصنيف العلوم في الفكر الفلسفي الغربي عرفت عدة محاولات من بينها محاولة ديكارت الذي جاء تصنيفه للعلوم يتميز بالبساطة والابتعاد عن التعقيد، وكذلك تصنيف هيجل للعلوم الفلسفية الذي يعتبر أحسن وأفضل من تقسيم ديكارت، أما أحسن وأفضل محاولة كانت

مع أوغست كونت الذي جاء تصنيفه بشكل جيد ومتميز عن كل الفلاسفة الغربيين الذين سبقوه، إلا أننا نجد المستشرقين في دراساتهم يركزون على كتاب الفهرست لابن النديم، لأن الفكر الإسلامي يتميز عن غيره بمسألة تصنيف العلوم التي تعتبر ضرورية وأساسية، لأن التصنيف هو عمل منهجي يعمل على تنظيم العلوم وإحصائها وتوضيح العلاقات التي تربط بينها، مع العلم أن التصنيفات الإسلامية جاءت في بنيتها العامة متحررة من التقسيم اليوناني الثنائي للعلوم القائم على أساس نظري وعملي، وهذا ما نلاحظه عند ابن النديم وطاش كبرى زاده، وعلى ثنائية المحمود المذموم عند ابن حزم، والعقلي والنقلي عند ابن خلدون، وهذا دليل على وجود منهج تصنيف إسلامي للعلوم الذي يسهل ويساعد المسلمين في طلب العلم من أجل تحقيق أهدافهم وغايتهم في هذه الحياة.

المصادر والمراجع:

1. الفارابي، أبو نصر، الجمع بين رأيي الحكيمين، ألبر نصري نادر، دار المشرق، بيروت، لبنان ن ط ح، سنة 1968.
2. فتاح، عرفان عبد الحميد، المدخل إلى معاني الفلسفة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1989.
3. ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، دراسة وإعتناء، أحمد الزغبى، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، سنة 1968.
4. الألوسي، حسام الدين، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1980 .
5. طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، سنة 1985.
6. حسان، محمد حسان، ابن حزم الأندلسي، عصره ومنهجه وفكره التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة.